مفهوم المكان في السّرد



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

لقد أثار عنصـــر المكان في الســـّرد اهتمام كثير من الباحثين والنّقاد، فتناولوه بالبحث والدّراسة، بدءاً بـــ(باشلار) الذي أصـــبح كتابه "جماليات المكان" مرجعاً رئيساً لكل من أراد الولوج في هذا الموضوع، ثم توالت الدّراسات والبحوث العالمية والعربية، إلا أنَّ هذه الدّراســـات بتقسيماتها تنصهر لتصـــب في بوتقة واحدة، مفادها أنَّ للمكان في العمل الأدبي مفهومين لا ثالث لهما:

الأوّل: واقعي له أبعاده، وحجمه، ومساحته في الواقع.

الثّاني: متخيل أوجده القاص ليتوائم، مع أحداث قصته، وشخصياتها.

بـــل أنَّ الواقعي فيهـــا هو في حقيقته متخيل، لأنَّ الأدب أو الفن لا يحـــاكي الواقع بل يحاكي ما يمكن أنْ يقع على سبيل الضّرورة والرّجحان.

ولنقادنا العرب اختيار خاص لمصـــطلح المكان فحسين الواد مثلاً يتبنى مصـــطلح(المساحة والاطار)[1] في دراسته

---

[1] ينظر: البنية القصصية في رسالة الغفران: ٦٠.

لرســـالة الغفران، من غير مراجعة لمعناها المعجمي، ومدى توافقهمـــا مع المعنى الفني للمكان بصـــفته حاوياً للاحداث وغيرها.

وقد اختار مصـــطلح المكان كل من سيزا قاسم وشجاع العاني وموريس أبو ناضر وياسين النّصير وعبد الله ابراهيم ومهند يونس ويمنى العيد وعبد الحميد المحادين وجميل شاكر وســـمير المرزوقي وسعد العتابي وغالب هلسا، وهو الأصح وهذا ما أرجحهُ.

لقد كان للمكان أهمية خاصة في أدبنا العربي القديم، من خلال "تجربة ثبتت في الشّعر العربي على مدى طويل، وبسبب ثباتها وتشابه معالمها الخارجية عُدّت مجرد تقليد شكلي، أو تكلس غير ذي أهمية أو دلالة. وهي البكاء على الأطلال"[٢] وما نعتقده أنَّ الحقيقة عكس ذلك لأنَّ الأطلال الواحدة تتعدد وتتغير صورها من شاعر إلى آخر، حسب رؤية الشّاعر للطّلل.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

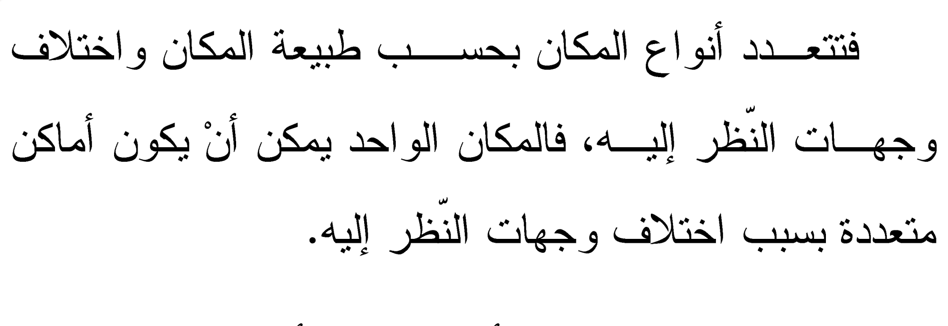
٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

[٢] جماليات المكان: غاستون باشلار، تر: غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط٣، ١٩٨٧: مقدمة المترجم: ٩.



فتتعـــدد أنواع المكان بحســـب طبيعة المكان واختلاف وجهـــات النّظر إليـــه، فالمكان الواحد يمكن أنْ يكون أماكن متعددة بسبب اختلاف وجهات النّظر إليه.

ونتيجة لذلك تعددت الأمكنة لدى الأدباء "فالمكان الذي يقع فيه الانجاز اســـماه (غريماس) باللّامكان مبيناً بذلك أنَّ العقل المعبّر عن الذّات والجوهر لا يمكن أنْ ينسجم في اطار مكاني معين فمكان العقل هو اللّامكان أي نفي المكان بوصفه معطى ثـــابتـــاً "[١] فمـــا نراه قد يكون ثابتاً في دلالتّه للوهلة الأوّلى، ولكن الزّمان كفيل بأنَّ يجعل له دلالات أخرى جديدة بســـبـــب اختلاف الاحـــداث وتغيّر مفردات المكان وتعدد الانطباعات فيه.

واستطاع بعض النّقاد والدّارسين والباحثين المعاصرين تحـــديـــد أنواع مختلفة للمكان، فمن خلال دراســـة(بروب) لمجموعة من الحكايات الشـــّعبية اســـتطاع تحديد ثلاثة أطر مكانية:

المكـــان الأصـــل، والمكـــان الذي يحدث فيه الاختبار التّرشيحي والمكان الذي يقع فيه الانجاز أو الاختبار الرّئيس



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

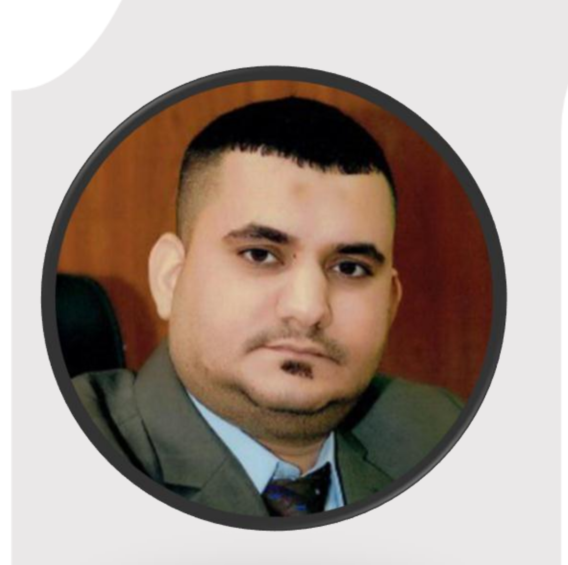
(١) عادل عبد الجبار روائياً، ص ١١٤، وينظر: دراسة في الأدب العربي، مصطفى ناصيف، الدّراسة القومية للطّباعة والنّشر، القاهرة، د.ت، ص١٥٨.

(٢). وهو بهذا يستند في تقسيمه على قيمة الحدث. فالمكان الأوّل: يمثل البيئة التي نشأت فيها الشّخصية و الثّاني: يمثل حالة وسطى بين المكانين وهو مكان طارئ تواجدت فيه الشّخصية لمرحلة ما. أما المكان الأخير: فهو مكان استوعب الأحداث الأخيرة لذلك العمل الرّوائي.

ونجد أنَّ ذلك يجعل الأحداث محوراً لتحديد أهمية المكان، فالمكان لا يستطيع أنْ يمثل نفسه بمعزل عن الحدث، مع أنَّ الأوّل هو الإطار الذي يحتوي الثّاني.

ولم يستعمل النّقاد الكلاسيون سوى كلمة للدّلالة على كل أنواع المكان. حيث لم يكن معنى الفراغ بمفهومه الحديث بعد، بينما ضاق الفرنسيون بمحدودية كلمة(الموقع) فبدأوا في استخدام كلمة (فراغ)، لم يرضَ نقاد الانجليزية عن اتساع كلمة (مكان /فراغ)، وأضافوا كلمة(البقعة) للتّعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث(٣).

وتفرق سيزا قاسم بين دلالة الكلمات(الموقع والمكان والفراغ) إذ ترى أنَّ كلٌّ من(الموقع والمكان) يدلان على



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

(٢) ينظر: الفضاء الرّوائي لجبر ابراهيم جبرا، ص ١٩٧.

(٣) بناء الرّواية: ٧٤- ٧٦.

المكـــان المحدد الذي يتركز فيه الحدث، بينما كلمة(الفراغ) تدل على المكان المتسع الذي تتكشــف فيه أحداث الرّواية، وهي ترتأي استعمال مصطلح (المكان) اتساقاً مع ذوق نقدنا العربي[٤].

أمــا جميل شـــاكر وســـمير المرزوقي فهما يكتفيان بـــ(المكان) عند حديثهما عن أنواع المكان، أما بقية النّقاد فلا يبينون سبب تبنيهم لمصطلح(المكان) دون غيره[١].

وهناك من يصنّف المكان إلى:

١- المكان المجازي: وهو مكان افتراضـــي، ليس له وجود فعلي مؤكـــد، ويوجـــد في الرّوايـــات ذات الأحـــداث المتتالية، ويمتاز هذا المكان بأنّه ســـلبي وخاضـــع لنزوات الشّـحصيات والأحداث الرّوائية، وتكون صفات هذا المكان من النّوع الذي ندركه ذهنياً ولكننا لا نعيشه.

٢- المكان الهندســي: ويعنى به المكان الذي تعرضـــه الرّواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد، وبـــذلك يكثر من المعلومات التّفصـــيلية فيتحول إلى مكان

[٤] ينظر: بناء الرّواية: ٧٤- ٧٦.

[١] ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ٥٨.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

خرائطي يتكون من مجموعة من السّطوح والالوان والتّفاصيل التي تلتقطها العين منفصـــلة ولا تحاول أنْ تقيم معها مشهداً كلياً.

٣- المكان المعاش: ويعني به مكان التّجربة المعاشـــة داخـــل العمل الرّوائي والقادر على اثارة ذكرى المكان عند القارئ وهو مكان عاشـــه مؤلف الرّواية، وبعد أنْ ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال[٢].

ويرى النّاقد محمد برادة أنَّ تقسيمات غالب هلسا هذه لا يمكن الأخذ بها لأنَّ تقسيم الامكنة أو الفضاءات إلى مجازية وغير مجازية، لأنّها كلّها مجازية لا تســـاوي الواقع والمكان داخـــل أي نص أدبي يصـــبح في النّهاية نوعاً من الســـّعة المجازية كما لا يمكن أنْ نقول مكاناً هندسياً أو مكاناً معاشاً لأنَّ جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية قد يصفها الكاتب وقد لا يصـــفها وقد يستنبطها من خلال أساساتها الدّاخلية لذلك يقسم الأمكنة إلى:

أ- فضـــاءات ممكنة حيث يمكن إرجاعها إلى مرجع معين.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

(٢) الرّواية العربية واقع وآفاق: غالب هلسا ومحمد برادة وآخرون: ص ٢١٧.

ب- فضـــاءات متخيلة لا يمكن أنْ نعود بها إلى خارج النّص أو إلى مرجع[٣].

ونجد أنَّ دراســـة النّاقد ياسين النّصير لها طابع خاص، فهو يصـــنف الامكانة إلى نوعين(مكان موضوعي) و(مكان مفترض) وتتلخص خصائص الأوّل من انه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية وتستطيع أنْ تؤشر عليه بما يماثله اجتماعياً وواقعياً احياناً، اما خصائص الثّاني فهو ابن المخيلة، البحث، الذي تتشـــكل أجزاؤه وفق منظور مفترض وهو قد يســـتمد بعض خصائصه من الواقع الا انه غير محدد، وغير واضح المعـــالم..)[١] ويضـــع النّاقد جملة من الملاحظات على هذا التّقسيم هي:

١- أنَّ هذا التّقســيم يقوم على فرضــية أنَّ الاحساس بالمكان آتي نتيجة انعكاس الواقع الموضـــوعي على مخيلة الفنان، وكذا نجد هذا الإحســـاس عميقاً تارة وســـطحياً تارة اخرى، وما التّقسيمات التي أوردناها الا بمثابة التّدرج الاولي لهذا الانعكاس على الفنان وبالطّبع لا نعني بالمكان هنا قيمة



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٣] السّردية في النّقد الرّوائي العراقي من ١٩٨٥ م –١٩٩٦ م: احمد رشيد الدّرة، رسالة ماجستير، كلية التّربية للبنات- جامعة بغداد، ١٩٩٧ : ١٧٣.

[١] الرّواية والمكان: ياسين النّصير، دار الحرية للطّباعة، بغداد، الموسوعة الصّغيرة، عدد ٥٧، ط١، ١٩٨٠ : ١/ ٢٧.

مجردة من فعــل الانســـان أو من أحداث التي تجري على أرضية، وأما نعني به القيمة التي يشكلها في العمل الرّوائي.

٢- أنَّ المكان لا يكون ذا قيمة فنية وفكرية إلا إذا كان نتاج عمل الانسان واعي.

٣- ولذلك، فإنّ التّقســيم المذكور لا يضع فواصل حادة بين نوع وآخر، وإنّما جاء نتيجةً لدرجة وعي الكاتب بأهمية المكان.

٤- أنَّ التّقسيم المذكور ابتعد عن كون المكان، أي مكان مـــا هو إلا مجرد حــدود خارجية للأفعال، بل هو جزء من عملة البناء الفني كلها[٢].

وهو يقسم(المكان المفترض) الى:

١- المكان اليوتوبي المفترض.

٢- المكان الاجتماعي المفترض[٣].

وكذلك يفعل بـــ(المكان الموضوعي) إذ يصنفه إلى:



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٧- ٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٢ و ٣٦.

١- المكان الموضــوعي المغلق التّكوين: مثل السّجون والمنص والاماكن الثّانية.

٢- المكان الموضوعي المنفتح: مثل البيت والمؤسسات الاجتماعية والحدائق وغيرها[٤].

ويضف إليها مكاناً ثالثّاً يصطلح عليه بـــــ(المكان ذو البعد الواحد) وهي الأماكن التي لا يعطيها الكاتب خصوصية في النّص الرّوائي، بل يكتفي أما بالتّعريف بها بشكل عام أو كونها تجري فيها الأحداث ولا تدخل في تفاصيلها أو ذكرها إلا ذكراً عــابراً، وهي موجودة على صـــعيـــد الامكنـــة الموضـــوعية والامكنة النّفترضـــة في المخيلة.وقد شايع هذا التّقسيم عبد الحميد المحادين[١].

أمـــا التّصـــنيف الآخر الذي لا يقل أهمية عن محاولة ياسين النّصير هو تصنيف الدّكتور شجاع العاني، في دراسته الرّائدة في مجالها ونوعها(البناء الفني في الرّواية العربية في العراق) فهو يصنف الأمكنة إلى:



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

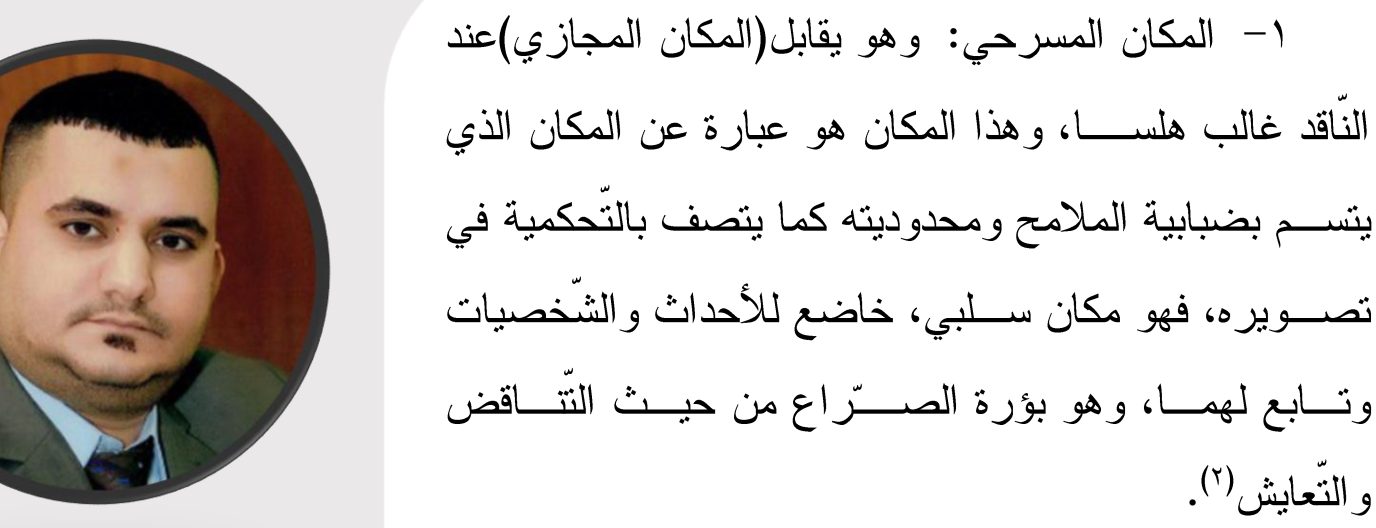
البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٤] المصدر نفسه : ٤٣/١ و ٧٢.

[١] التّقنيات السّردية في روايات عبد الرّحمن منيف : ١٠٩.





الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

١- المكان المسرحي: وهو يقابل(المكان المجازي)عند النّاقد غالب هلسـا، وهذا المكان هو عبارة عن المكان الذي يتسم بضبابية الملامح ومحدوديته كما يتصف بالتّحكمية في تصويره، فهو مكان سلبي، خاضع للأحداث والشّخصيات وتابع لهما، وهو بؤرة الصّراع من حيث التّناقض والتّعايش[٢].

٢- المكان التّاريخي: وهو المكان الذي لا ينفصل عن الزّمان، وهو ما يدعوه بـ(الزّمكانية)، ويتكون من العلاقة النّاشئة بين الأمكنة والتّاريخ أو التّاريخ والأمكنة، وتؤدي هذه الثّنائية الدّور الأساس في حركة الأحداث ومنح الحبكة ثراءها ودلالتّها[٣].

٣- المكان الأليف: وهو ذلك المكان الذي يأتلف معه الإنسان ويترك في نفسه أثراً لا يمحى، كأنْ يكون مكان الطّفولة الأوّل أو مكان الصّبا أو الشّباب، وأي مكان نشأ فيه وترعرع وأصبح من مقوماته الفكرية والإنفعالية والعاطفية،

---

[٢] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: (الوصف وبناء المكان): ٢/٢٨ و ٣٣- ٣٥.

[٣] المصدر نفسه: ٢/٤٤ و٥٩- ٦٠.

إذ يثير فيه- هذا المكان- الإحساس بالطّمأنينة والأمن والذّكرى[٤].

٤- المكان المعادي: وهو المكان الذي يرغم الانسان على العيش فيه، كالسّجون والمنافي، أو يشكل خطراً على حياته مثل ساحات الوغى، فلا يشعر في هذه الاماكن بالالفة والطّمأنينة والرّاحة، بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية[٥].

ويبدو من هذا التّصنيف أنَّ الاستاذ العاني، قد تأثر وزاوج بين جهد النّاقد غالب هلسا والفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار.

أما النّاقد عبد الله ابراهيم في دراسة(البناء الفني لرواية الحرب في العراق) قد ميز بين نوعين للمكان هما:

١- المكان الآمن.

٢- المكان غير الآمن[١].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

(٤) الرّواية والمكان: ٨٢/٢ و ٩٩.

(٥) الرّواية والمكان: ٨٢/٢ و ١٢٩.

(١) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ١٣٩ – ١٤٠.

وهما صورتان مما اصطلح عليهما الدّكتور العاني(المكان الأليف والمكان المعادي)، أما في دراسته الثّانوية بـ(السّردية العربية) بحث في البنية السّردية للموروث المكاني العربي، فهو لم يعطِ (المكان) أهمية في بحثه على الرّغم من خصوبته وتنوعه في النّماذج التي درسها مثل قصص(ألف ليلة وليلة) و(السّير الشّعبية) و(المقامات)، ولم نعثر في هذه الدّراسة على أي مصطلح أو منهج لدراسة المكان سوى مصطلح واحد وهو(البؤرة المكانية)، وهذا المصطلح هو صورة مموهة من مصطلح بروب(المكان الأصل) ويعني المكان الذي ينطلق فيه البطل لأنجاز مهمة ما، ثم العودة إليه بعد إنجاز المهمة(٢).



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

(٢) ينظر: السّردية العربية: ١٥١- ١٥٨.